

الأبعاد الإيديولوجية والسياسية لأفلام الوباء في السينما الأمريكية

فيلم "حرب الزومبي العالمية the world war Z " أنموذجا

Ideological and Political Dimensions in Global Pandemic Film in American Cinema. Film The World War Z movie is a model

عبد الإله بدار^{1*}، عزوز بنعمر²¹ كلية الآداب واللغات أبوبكر بلقايد - جامعة تلمسان، الجزائر، didoudar22@gmail.com² كلية الآداب والفنون أحمد بن بلة - جامعة وهران 1، الجزائر، azzouzben@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/12/05 تاريخ القبول: 2021/01/24 تاريخ النشر: 2021/02/17

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية السينما العالمية في التأثير على الوعي السياسي للشعوب والمجتمعات عبر مختلف دول العالم وتوجيههم، ومدى تأثير الصور والرموز والإشارات التي تبثها السينما على عقول ونفسيات المشاهدين، وذلك بهدف توصيل رسائل ثقافية وسياسية واجتماعية، وتتمثل أهم نتائج الدراسة في توظيف الأبعاد الإيديولوجية والسياسية في أفلام الوباء والكوارث في السينما الأمريكية والترويج لها بهدف التأثير في المتلقي وتوجيهه للغايات المراد الوصول إليها.

كلمات مفتاحية: السينما، الفيلم، الإيديولوجيا، السياسة، الوباء.

Abstract: This study aims to highlight the importance of global cinema in influencing the political awareness of peoples and societies across different countries of the world and directing them, and the extent to which the images, symbols and signals transmitted by cinema affect the minds and psyche of viewers, with the aim of communicating cultural, political and social messages, and the most important results of the study are the employment of ideological dimensions And political issues in epidemic and disaster films in American cinema and promoting them with the aim of influencing the recipient and directing him to the ends sought to be reached.

Key words : Cinéma - film - ideology - politics - epidemic

1. مقدمة:

- الإشكالية:

ارتكزت الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة على الكيفية التي تم من خلالها استغلال أفلام الوباء والكوارث العالمية في السينما الأمريكية - بصفتها وسيلة اتصال حديثة - في التأثير على المتلقي وتمير رسائل إيديولوجية وسياسية من خلالها ، ومن هنا يتم طرح التساؤلات التالية :

- كيف تم توظيف أفلام الوباء في السينما الأمريكية لتوجيه الرأي العام العالمي والتأثير عليه ؟

- ما هي التقنيات السينمائية المستخدمة في أفلام الوباء الأمريكية للتأثير على المتلقي ؟ وتطلق فرضيات الدراسة من إدراك أهمية السينما بصفتها وسيلة اتصال حديثة تمتلك تقنيات سمعية بصرية متطورة تؤثر في توجيه المتلقي لتحقيق الأهداف المسطرة.

- مصطلحات البحث :

- **السينما (cinéma):** "هي اختصار لكلمة cinématographe أي التسجيل الحركي وهذه الكلمة المتعددة المعاني تدل في الوقت نفسه على الأسلوب التقني وإنتاج الأفلام وعرضها وقاعات العرض ومجموع نشاطات هذا الميدان ومجموع المؤلفات المفلمة مصنفة في قطاعات ، كالسينما الأمريكية والسينما الصامتة والسينما التوهمية والسينما التجارية"¹. و"السينما cinématographie تدل على مجموع التقنيات والأساليب السينمائية وعلى ذات النشاط الذي يمكن النظر إليه على صعيد جغرافي فنقول السينما الآسيوية أو الإسبانية"².

- **الإيديولوجيا (ideology):** "مصطلح لاتيني الأصل استخدمه لأول مرة الفيلسوف الفرنسي "دي تراسي" في مطلع القرن التاسع عشر بمعنى "علم الأفكار" وكشئى مقابل للعالم المحسوس وربما مناقض له ، ثم استخدمه فيما بعد "كارل ماركس" بمعنى مجموعة الأفكار والمعتقدات التي تسود مجتمع ما بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية ، ناتج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد مما يحدد موقفا فكريا وعمليا معيناً لمعتقد

هذا النسق الذي يربط ويكامل بين الأفكار في مختلف الميادين الفكرية السياسية والأخلاقية والفلسفية³.

- **السياسة (Politics):** "هي فن القيادة والحكم وعلم السلطة أو الدولة ، وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وهي النشاط الإجتماعي الفريد من نوعه الذي ينظم الحياة العامة ويضمن الأمن ويقيم التوازن والوفاق من خلال القوة الشرعية والسيادة بين الأفراد والجماعات المتنافسة والمتصارعة في وحدة الحكم المستقلة على أساس علاقات القوة"⁴.

- مقدمة :

تلعب السينما دورا فاعلا في تفاصيل حياتنا اليومية ، عبر إظهار الصورة (السينما) لاختلاف الثقافات و أشكالها الاجتماعية ، وبما أن تلك الأفلام السينمائية تحاكي الواقع من جهة و الأهداف السياسية من جهة أخرى ، تبحث بعض الجهات الإعلامية الى توثيق بعض الحالات المرضية في العالم و تبيان أشكالها البحثية و ما الى ذلك بغية اثراء الرأي العام و الذهاب به الى جزء من المعرفة و التدارك العلمي و وما هو موجود حول عالما الأرضي ، من هنا جاءت بعض التساؤلات البحثية حول ما اذا كانت الأفلام السينمائية لها تأثير فاعل في نشر المعلومة و البحث في أخطار الأوبئة حول العالم والحد من تفشي هذه الظاهرة البيئية الى أقصى حد .

بدأت المحاولات الأولى لاكتشاف السينما كإختراع جديد هز العالم من خلال "جهود توماس أديسون عام 1891 بإختراعه لجهاز الكينيتوسكوب"⁵ ، ثم تطورت هذه المحاولات بفضل "مجهودات الأخوين لوميير اللذين قدّما أول عرض سينمائي في تاريخ السينما في 28 ديسمبر 1895 بواسطة جهاز طالسينما توغراف"⁶.

اهتمت السينما طيلة تاريخها بالظواهر الطبيعية والأحداث الكبرى ذات التأثير المباشر على الإنسان كانتشار الأوبئة والكوارث الطبيعية والمآسي التاريخية كالحروب وغيرها.

وكان التناول بين الوثائقي والروائي مختلفا في السينما منذ البداية ، ومنبعه في الأساس تباين خصائص كل منهما ، فالروائي يجنح للخيال في نقله للحدث الواقعي ، مما يوفر له

مساحات اشتغال فنية وجمالية تساعده على تحقيقها المؤثرات الخارجية ، وغالبا ما تسهم في تصعيد وتيرة أحداث القصة المنقولة للمتلقي وتزيد من درجة تفاعله معها.

وهذا يضيف مفارقة على المشهد السينمائي حين يراجع ما تناولته من قصص ذات علاقة بانتشار الأمراض والأوبئة ، كوباء إيبولا والطاعون والملاريا ، فغالبا الأفلام الناجحة جماهيريا هي روائية معتمدة على سيناريوهات مرجعيات كتابتها علمية ، لكن طريقة وأسلوب تناولها فيه حيز كبير للفانتازيا والخيال⁷.

1. المعالجة الدرامية لأفلام الوباء في السينما العالمية :

الدراما عنصر بالغ الأهمية في نشر الوعي بين الناس بكل طبقاتهم وتخصصاتهم ، لأنها تستهدف الجمال والمتعة لإيصال الرسائل التي يجب أن تصل للمتلقي ويكفي للدلالة على هذه الأدوار التاريخية التي لعبتها الدراما في نشر الوعي اتجاه العديد من الأحداث الكبرى التي مرت بالعالم .

تناولت العديد من الدراسات قضية الكتابة عن أحداث الوباء ، من أهمها ما كتبه الروائي "غابرييل غارسيا ماركيز" في روايته الشهيرة "الحب في زمن الكوليرا"، وكذلك ما كتبه الأديب الفرنسي "ألبير كامو" في روايته "الطاعون"⁸.

عالجت بعض أفلام الرعب التي نشرت في السينما العالمية فئة من البشر أطلقت عليهم مصطلح "زومبي" وظهرت شخصيات الزومبي لأول مرة عام 1968 تاريخ صدور فيلم "ليلة الموتى الأحياء" أو "night of the living dead"⁹.

وهناك عدة أفلام سينمائية عالجت قضية الزومبي يمكن الإشارة إلى البعض منها في الأفلام التالية :

1.1 "عدوى" contagion ، يُعد فيلم "عدوى" للمخرج الأمريكي "ستيفن سودربيرغ" الذي صدر عام 2011¹⁰ ، الفيلم الأقرب إلى فيروس كورونا ، فالمرضى يعانون من السعال وارتفاع درجة الحرارة وضيق التنفس ، كما أنه ينتقل إلى الإنسان باللمس والهواء ، ويؤدي إلى كوارث قد يصل ضحاياها إلى عشرات الملايين من الناس ، أما مصدر هذا الفيروس فهو الخفافيش والخنازير، وتتطلق فكرة هذا الفيلم من قصة سيدة تعود من رحلة عمل في

هونغ كونغ ، وتتوقف في شيكاغو للقاء عشيقها السابق "جون نيل" قبل أن تعود إلى عائلتها في "مينيابولس" ، لكنها تُصاب بنوبة مرضية أقرب إلى الصرع حيث يتأثر جسدها ويخرج سائل أبيض من فمها ثم تفارق الحياة لسبب غير معروف ، كما يُصاب ابنها البالغ من العمر ست سنوات ويموت أيضا ، الأمر الذي يدفع الجهات الصحية لعزل الأب ، لكن الأطباء يكتشفون قوة جهازه المناعي فيخلون سبيله ، ويبقى رفقة ابنته المراهقة .

2.1 "التفشي" outbreak ، يتمحور فيلم "التفشي" للمخرج الألماني "ولفغانغ بيترسن" صدر عام 1995¹¹ ، على انتشار فيروس "موتابا" القاتل في زائير، ثم ينتقل منها بواسطة قرد الكابوتشين والوجه الأبيض ليصيب عددا من الناس ويؤدي بحياتهم قبل أن يصل إلى قرية سيدار كريك الخيالية التابعة لولاية كاليفورنيا التي ينتقل إليها الفيروس تباعا من مهرّب القروء إلى صاحب متجر الحيوانات الأليفة ، ومنها إلى أبناء القرية التي تُحجر بالقوة العسكرية ، ويبقى ساكنوها بانتظار المصير المجهول الذي يترقبونه بهلع شديد، حتى يُعلن الطاقم الطبي عن اكتشافه لمصل مضاد لهذا الفيروس الذي أخذ يفتك بالناس بعد أن تحوّل إلى سلالة قادرة على الانتشار في الهواء وإصابة أعداد كبيرة من البشر .

3.1 "الإنفلونزا" flu ، يتناول فيلم "الإنفلونزا" للمخرج الكوري الجنوبي "كيم سونغ سو" صدر عام 2013¹² ، انتشار فيروس إنفلونزا الطيور الذي ينتمي علميا إلى سلالة (H5N1) ، ويفتك بحياة الآلاف من المواطنين الكوريين ، ويبدأ المرض القاتل الذي بدأ على متن سفينة تحمل أخوين مُهرّبين اللذين وجدا أن المهاجرين غير الشرعيين قد لقوا حتفهم في حاوية شحن كبيرة بسبب مرض غير معروف .

ويتبين أن ذلك المرض هو "إنفلونزا الطيور" ، وأبرز أعراضه هي السعال والحمى والتنقيؤ والتهاب الحلق وصعوبة التنفس والإرهاق الذي ينتهي غالبا بالانهيار وفقدان السيطرة ، مما يسبب لسائقي المركبات حوادث سير مفاجئة وخطيرة تزيد حركة المرور في الشوارع .

4.1 "بعد 28 يوما" ، رسم المخرج البريطاني "داني بويل" بمزيج مُتقن من الإثارة والدراما والخيال العلمي صورة مروّعة لنهاية العالم ، وذلك إثر تفشي فيروس غير قابل للشفاء في جميع أنحاء المملكة المتحدة ، حيث يحاول عدد من الناجين العثور على ملاذ آمن ، في

خضم الأجواء المؤحشة التي تعيشها العاصمة البريطانية لندن بعد أن قامت مجموعة من نشطاء الرفق بالحيوان بدهم جامعة كيمبردج ، من أجل تحرير قرود الشمبانزي التي تخضع لتجارب وأبحاث علمية ، لكنها تُصاب جميعا بفيروس مُهلك ينتقل بسرعة إلى الإنسان ، ويُفضي بالنتيجة إلى انهيار المجتمع البريطاني.

وما إن يُطلق النشطاء القردة من أقفاصها حتى تظهر عليهم أعراض السلوك العدواني الذي يصل إلى درجة التوحش ، وبعد 28 يوما من نقشي المرض يستيقظ ساعي البريد جيم من غيبوبته الطويلة في مستشفى سانت توماس في لندن ، ليكتشف أن المدينة شبه مهجورة إلا من بعض الأفراد المفزوعين والمتناثرين هنا وهناك¹³.

2. توظيف الأبعاد الإيديولوجية والسياسية في تاريخ السينما العالمية :

غالبا ما تتداخل الإيديولوجيا والسياسة في السينما وأحيانا يبدو كل واحد منهما منفصلا عن الآخر، ويهدف صانعو الأفلام ذوي الميول السياسية إلى إظهار التشابك بين الإيديولوجيا والسياسة في حياة الناس وكيف أثرت على أسلوب حياتهم.

وهناك أنواع من الأفلام تظهر فيها الإيديولوجيا كشيء ضمني في مقابل أفلام أخرى تظهر فيها الإيديولوجيا بشكل دعائي.

من أمثلة هذه الأفلام ، نجد فيلم "مولد أمة" the birth of a nation ل "ديفيد وورك جريفيت" الذي صدر عام 1915 والذي نظر إليه الكثيرون على أنه فيلم عنصري بسبب عرضه قبل أربعين عاما من إلغاء التمييز العنصري ، رغم أن هذا الفيلم حقق نجاحا كبيرا داخل وخارج أمريكا.

وهناك أيضا فيلم " قلب شجاع " brave heart ل "ميل جيبسون" الذي صدر عام 1995، الذي تم تصنيفه على أنه من الأفلام الإيديولوجية المعلنة ، ولكن تمكنت المعالجة الدرامية لأحداثه من حصره في الصراع بين ثقافة أقلية مع ثقافة الأغلبية رغم أنه كان من الممكن أن يكون إطارا إيديولوجيا لحركة قومية متشددة كانت قد تتسبب في حصول خلافات تؤدي إلى تعريض الإنجليز إلى صدامات مع الدول والشعوب الأخرى.

ومن نماذج الأفلام الإيديولوجية المعلنة الأخرى ، نجد أفلام "جيمس بوند" التي ارتبطت بالحرب الباردة والتي دافع فيها "جيمس بوند" عن الحياة المليئة بالرفاهية أكثر من دفاعه عن قيم العالم الحرّ.

ففي أول مشاهد فيلمه "أصبع الذهب" الذي صدر عام 1964 والذي أكد فيه على أسلوب ومستوى الرفاهية.

ومن نماذج الأفلام الإيديولوجية المتضمنة ، نجد أفلام الكوميديات الرومانسية البريطانية التي تخاطب الجمهور على أنهم ينتمون جميعا إلى الطبقة الوسطى ، انطلاقا من فيلم "جاك وسارة" إلى "توتنج هيل" ومن "حب حقيقي" إلى "يوميات بريدجيت جونز".

وتبرز الإيديولوجيا في هذه الأفلام على أنها أفلام بهيجة لا يهتمها عرض الواقع ومشكلاته ، والقضايا الاجتماعية فيه مختفية تماما ¹⁴.

3. معالجة السينما للقضايا السياسية :

تناولت دراسات عديدة قضية تأثير السينما على الوعي السياسي للأفراد في المجتمع ، واستخدمت نظريات تتحدث عن تأثير وسائل الاتصال الجماهيري بخصوص تأثير السينما على الأفراد.

ويشكل الوعي السياسي موضوعا مهما في الحياة السياسية في تأثيره في الأحداث السياسية ومعطياتها.

فالسينما باعتبارها فن وكذلك وسيلة تعبيرية تحمل كل من الكلمات والصور وغيرها من المؤثرات وهذا يمكن تجسيده وتصويره للوعي السياسي ، والصور ليست شكل يقدم فقط للجماهير في شكل جمالي يستوفي الشروط التي تجعله على قدر من الجاذبية ولكن الهدف الأساسي من تلك الصور السينمائية هو توصيل رسائل ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية ، فلم تعد السينما مجرد صور وأحداث ولكنها هي حقل واسع من الرسائل الضمنية التي تتمثل في الإشارات والإيحاءات المختلفة.

وللسينما علاقة وطيدة مع السياسة منذ نشأتها فقد اهتمت بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولها تأثير كبير على الرأي العام ، فهي تستوحي قصصها من واقع المجتمع.

وفي الآونة الأخيرة أصبحت تستخدم السينما في الدعاية الداخلية والخارجية وتعمل على تكوين الرأي العام المحلي والعالمي على حد سواء اتجاه مختلف القضايا التي تهم الجمهور ، وذلك بتناولها للقضايا بأسلوب غير مباشر عن طريق قصة محبوكة فنيا ، فهي تتناول بالتحليل هذه القضايا وتحاول إيجاد الحلول الممكنة لها ، وبذلك تؤثر في الجمهور دون أن تتناول القضايا بالطريق المباشر التي قد يفقدها ثقة الجمهور .

و"الفيلم السينمائي يستخدم الإمكانات الفنية في التعبير وتوظيفها لتفسير وتجسيد الإشكاليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع ، واحداث نوع من الترابط بين المشاهد ومحتوى الفيلم لكي يحدث تأثير على وعي الأفراد من خلال التأثير بما يعرضه الفيلم لما له من دلالات للظواهر التي يعيشها المجتمع"¹⁵.

4. التعريف بفيلم " حرب الزومبي العالمية " the world war Z :

1.4 لمحة تاريخية عن أفلام الزومبي :

جسدت الأفلام السينمائية شخصية الزومبي على أنها جسد بشري لا يحتوي على أي روح تمت إعادة الحياة إليها عن طريق حيل سحرية ، لكن كلمة "زومبي" في الأصل جاءت من إحدى الديانات التي يدين بها بعض البشر الذين يسكنون غرب القارة الإفريقية وهذا يتفق أيضاً مع ما يرد في قاموس أكسفورد الذي يشير إلى أن أصل هذه الكلمة جاءت من منطقة الغرب الإفريقي .

وكلمة زومبي في اللغة الإنجليزية سجلت في القواميس لأول مرة عام 1819 بمعنى "صنم" وتشير أحد مشتقاتها إلى معنى "إله" وهي تلك اللغة التي يتحدث بها سكان الكونغو والمناطق التي تحيط بها ، وفي الديانات الأخرى مثل ديانة "الفودو" وهي ديانة يدين بها سكان إفريقيا إلا أن كلمة زومبي على الأرجح تعني "إله الثعبان" .

واستخدم مصطلح "الزومبي" في الثقافة الهايتية بغرض الترهيب ، ففكرة أن يكون لدى بعض الأشخاص القوى السحرية لكي تحرك جثة ليس بها روح كانت مخيفة للناس وخاصة عندما تخبر تلك الثقافة بأن المسؤولين عن تحريك هذه الجثث هم مجموعة من الأطباء

والسحرة المعروفين بإسم "بوكرز" ، لذلك كان الناس يهابون هؤلاء البوكرز ويقدمون الإحترام لهم طوال الوقت ¹⁶.

ويتعبّر فيلم "ليلة الموتى الأحياء" أو "night of the living dead" الذي صدر عام 1968 من أوائل الأفلام في السينما العالمية الذي عالج قضية "الزومبي" بشخصياتها الغربية والمخيفة.

2.4 بطاقة فنية عن فيلم حرب الزومبي العالمية : هو فيلم رعب كارثة مقتبس من الرواية التي تحمل نفس الإسم ل "ماكس بروكس" ، فيلم حرب الزومبي العالمية هو فيلم إثارة ورعب من بطولة الممثل "براد بيت" والذي قام بدور "جيرى لين" ، وهو الموظف المتقاعد لدى الأمم المتحدة والذي سافر حول العالم لإيقاف وباء الزومبي .

- إخراج : مارك فورستر

- سيناريو: ماثيو مايكل كارناهان

- تأليف: ماركو بلترامي

- مدير فريق التمثيل : كيت دود

- بطولة : براد بيت ، ميراييل اينوس ، دانييلا كريتييس

- مدة الفيلم : 116 دقيقة

- تاريخ الصدور : 2013

- ميزانية الإنتاج : 170 مليون دولار

3.4 قصة فيلم حرب الزومبي العالمية : فيلم حرب الزومبي العالمية هو فيلم لرواية الرعب المروع "ماكس بروكس" ، والرواية كما هو واضح من اسم الفيلم ، تروي شكل سلسلة من المقابلات التي أجراها الراوي "ماكس بروكس" ، وكيل لجنة الأمم المتحدة بعد الحرب على الرغم من عدم القدرة في الوصول للوصف الدقيق لأسباب انتشار الوباء الزومبي ، حتى تم الوصول لطفل غير مصاب بوباء الزومبي ، وكان هذا الصبي من قرية في الصين وتمثل حالة الصبي لنقطة البداية للحكومة الصينية على اتخاذ تدابير التعرف على المرض ، بما

في ذلك العمل على توليد أزمة مع تايوان لإخفاء أنشطتهم ، ومع ذلك فإن وباء الزومبي لا يزال ينتشر الى الدول المختلفة عن طريق الاتجار بالبشر واللاجئين.

بعد عشر سنوات من النهاية الرسمية لحرب غيبوبة ، لازال الملايين من الكسالى نشطين ، لا سيما في قاع المحيط أو على جزر خط الثلوج ، وأصبح اقتصاد كوبا الديمقراطية هي الأكثر ازدهاراً في العالم ، بعد الحرب الأهلية التي شهدت استخدام الأسلحة النووية ، وأصبحت الصين دولة ديمقراطية¹⁷.

يتميز إيقاع الفيلم بالسرعة الشديدة سواء في بداية الأحداث حيث لم يستغرق سوى مشهدين فقط ، لتظهر بعد ذلك انفجارات ضخمة وصواريخ تطلقها طائرات هليكوبتر تحاول تقادى كارثة انتشار "الزومبي" بإحدى المناطق الحيوية بالولايات المتحدة الأمريكية ، وما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى تسود المنطقة حالة من الذعر الشديد ، ويهرول الجميع لإنقاذ أنفسهم ، ووسط تلك الأحداث يجد بطل الفيلم براد بيت "جيري لين" وأسرته أنفسهم في موقف رهيب ، فهو مثل غيره لا يعرف شيئاً عما يراه ، ويحاول جمع التفاصيل التي يراها لكي يقف على حقيقة الأمور ، خصوصاً أنه محقق سابق لدى الأمم المتحدة لكنه ترك العمل بها منذ فترة.

وتتصاعد الأحداث عند انتشار الفوضى في المدينة ، فهناك أمر غامض وغريب يجعل البشر يهاجمون بعضهم بشراسة غريبة ، وفيروس قاتل ينتشر سريعاً عبر عضة واحدة من إنسان مصاب ، ليتحول البشر إلى كائنات خطيرة ومخيفة لمجرد إصابتهم بالفيروس ، فمصدر الفيروس غير معروف ، وعدد المصابين يتزايد كل يوم ، ليصبح الأمر وباءاً عالمياً ، ومع محاولات هروب "جيري" من الإصابة بالفيروس وعدم قدرة الجيوش والحكومات على مواجهته ، تستعين سلطات الجيش الأمريكي بجهود "براد بيت" الذي يرفض في البداية العودة للعمل بالأمم المتحدة لكن رؤسائه يخبرونه بأنهم سيتكلفون بحماية أسرته في مقابل أن يقبل العمل معهم مجدداً ليوافق "جيري" في النهاية ، حيث يرى رؤسائه أنه الوحيد القادر على الوصول إلى حقيقة الأمر ، فيترك أسرته ليسافر حول العالم للبحث عن مصدر هذا الوباء وإيجاد وسيلة لإيقاف انتشاره ، ويعتمد في رحلته هذه على ذكائه وخبرته للخروج بالعالم من هذه الكارثة ، بينما تعيش "كارين" زوجته حالة من القلق والتردد بين تشجيع

زوجها على مهمته ، وهى في ذات الوقت تخاف من البقاء بمفردها هي وابنتها في عالم يحاول البقاء على قيد الحياة¹⁸.

5. التوظيف الإيديولوجي لفيلم " حرب الزومبي العالمية " the world war Z :

في ظل وباء فيروسي انتشر في العالم كله ، يتحول كل من يصاب به إلى زومبي ، يجول موظف من الأمم المتحدة العالم بحثا عن علاج ينقذ البشر من الهلاك المحقق بهم ، هو "جيري لان" والذي يقوم بدوره المُمثل الأمريكي "براد بيت" في فيلم "حرب الزومبي العالمية" (World War Z).

ورغم كثرة وتعدد البلدان التي كان من الممكن اللجوء إليها لإنقاذ الإنسانية دون الإخلال بالشبكة الدرامية للعمل، فإن كاتب العمل استخدم دولة الكيان المحتل بوصفها الدولة التي كانت على دراية مبكرة بالوباء، والفيلم يتعامل مع "الجدار العازل" كالسبب الرئيسي في إنقاذ شعب دولة الكيان والعالم من خطر الزومبي الموجودين خارج الأسوار، وسمحت عبر بوابات صغيرة بدخول البشر الذين لم يصابهم الفيروس للاحتماء.

هذا التسويق الأدبي والسينمائي للجدار العازل - بوصفه منفذا حيويا للنجاة في حالات الكوارث والأوبئة الكبرى - ليس مجرد عرض أدبي أو سينمائي حدث بالصدفة ، فعلاقة الزومبي والخيال العلمي ككل بالعلاقات الدولية وإدارة الأزمات أصبحت أحد أكثر المواضيع طرحا في فصول العلاقات الدولية.

أما عن أكثر المشاهد ومحاور الفيلم المستفزة والمثيرة للجدل خصوصا بالنسبة للمجتمعات العربية ، هو محاولة صناع الفيلم الترسخ لفكرة وجود الكيان المحتل كأبي دولة مثل باقي الدول ، وليست كيانا مغتصبا لأرض فلسطين ، فبطل العمل أثناء أحداث الفيلم يذهب إلى عدة دول من أجل إيجاد طريقة ما لعلاج المرض ومنها دولة المحتل وتظهر مشاهد علوية للمسجد الأقصى باعتباره أحد معالم وجودها ، ويُظهرها الفيلم على أنها تهتم بشعبها وبالشعوب العربية المجاورة الذين يلجؤون إليها لحمايتهم من الإصابة بالمرض ، وتظهر أعلام لدول عربية يذهب أهلها إلى هناك، طالبين النجاة فرحين بمساعدة دولة المحتل لهم،

ومن هنا تبدأ مشاهد مرافقة بطل الفيلم لجندية من الجيش الصهيوني "سجين" لتساهم معه في إنقاذ العالم من الوباء الخطير¹⁹.

تتميز أفلام الخيال العلمي بجدية التعامل مع بعض القضايا السياسية الخطيرة التي يتعرض لها العالم مثل سُبل النجاة في الأزمات الكبرى أو فترات الأوبئة الفتّاقة، مثلما يتعامل بنفس الحدة مع فكرة التوسع الإمبراطوري واكتشاف وإنقاذ مناطق منكوبة (غالبا ما تكون بفعل كائنات فضائية أو زومبي).

ويرى أستاذ الجغرافيا السياسية "جاسون ديتمر" أن الخيال العلمي ظهر كرد فعل على النهاية الفعالة للغزو في الأرض، أي نهاية التوسع الإمبراطوري الغربي، وقد تحول مجال الأدب -خاصة الخيال العلمي- إلى وسيط لنشر الأفكار الأيديولوجية والقيم الإمبراطورية، وبالتالي هناك صلة واضحة بين الخيال العلمي والإمبريالية التي تُعرّف بأنها "صيانة أو توسع السلطة الوطنية على حساب البلدان الأخرى الأضعف شأنا.

ووفق "روردن ويلكينسون" الباحث في مجال العلاقات الدولية، فإن أفلام الزومبي تطرح عددا هائلا من القضايا الحيوية التي تواجه العلاقات بين الدول ، فجميع القضايا التي تطرحها أفلام الزومبي بالفعل مطروحة على أجندات العلاقات الدولية مثل : انتشار الأمراض المعدية ، الهجرة والفرار الجماعي ، محدودية الوصول إلى مياه الشرب الصالحة ، الفقر ، انعدام الأمن الغذائي ، التدهور البيئي ، التفكك الاجتماعي ، العنف بجميع مظاهره.

ويرى الباحث أن أفلام الزومبي - وعلى رأسها "حرب الزومبي العالمية" تدشن فكرة "حتمية الحرب العالمية التي تقودها الولايات المتحدة" ضد كل ما يهدد نظامها الأمني ، فاستخدام المخلوقات الزائفة هنا ليس سوى رمز للآخر المُتخلف ، سواء كان هذا الآخر عربيا ، مسلما أو إفريقيا.

وعليه فإن ما يميز هذه الأفلام أنها نوع من التربية الأيديولوجية التي تُعزز القوالب النمطية الجنسانية، وتخدع المشاهد بطريقة تحد من إمكانيات التعاون بين الدول الأكثر حظا وقدرة على إنقاذ العالم (مثل الولايات المتحدة والكيان المحتل) والدول الأقل حظا والأضعف (مثل

الموجودين خارج الجدار العازل) ، كما أن تلك الأفلام تضيف الشرعية على بعض أشكال العنف والمواقف تجاه الخصوم في صراع البقاء أو أي مواجهات عسكرية²⁰.

في فيلم "حرب الزومبي العالمية Z The World War" تم إقحام اسم الكيان المحتل بشكل مستفز ودون مبرر درامي حقيقي، سوى الرغبة في تمرير فكرة "اليهودي الطيب" ، وتكريسها عالمياً عبر السينما ، وذلك بعد أن تم تسويقها أدبياً بفضل الرواية الناجحة التي تحمل نفس الاسم ونشرت عام 2006 للكاتب "ماكس بروكس" ابن الممثل اليهودي الشهير "ميل بروكس" ، فما ذكره الفيلم عنه يمثل دعاية كبيرة لإنسانيتها ولحرصها على إنقاذ العالم من وحوش "الزومبي" الذين يتربصون لها في كل مكان.

والفيلم من الناحية الفنية، يمثل تجربة جديدة لمخرجه "مارك فورستر" ، ورغم ذلك فيستحيل على أي مشاهد عربي أو شرقي تقبل وجود هذا الكيان ضمن البلاد التي زارها موظف الأمم المتحدة ، وكونها الدولة الوحيدة الناجية من هذه الوباء الذي عمّ العالم ، فمن حيث سياق الحدث كان بالإمكان الاستعاضة عن إسرائيل بدولة أخرى دون أن يؤثر ذلك على مضمون القصة .

تظهر دولة المحتل في الفيلم بوصفها الدولة التي انتهت مبكراً لخطر الفيروس واستفادت من جدرانها العازلة "الكبيرة" لإنقاذ شعبها من خطر الزومبي الموجودين خارج الأسوار، يكتشف موظف الأمم المتحدة ذلك عندما كان في كوريا ويصر على زيارة الكيان لمعرفة كيف انتبه اليهود للفيروس مبكراً ، وعند وصوله إلى هناك تتضح له أهمية الجدار العازل في إنقاذ شعبه ، كما يكتشف "إنسانية" الدولة اليهودية التي وضعت بوابات صغيرة لاستقبال الناس الذين لم يتعرضوا للفيروس والموجودين في الخارج ، وذلك دون أن تكثرث بانتماءاتهم الفكرية والدينية ، لأن المهم هو إنقاذ الإنسان البريء بأي طريقة.

وهنا لا يستطيع للمشاهد أن يعزل نفسه عن فكرة "الجدار العازل" التي بدأت دولة المحتل بتنفيذها منذ سنوات في فلسطين للحد مما تسميه بالإرهاب، والتي وجدت أصداء سلبية حول العالم وفضحت الدولة الصهيونية وجعلتها تبدو على حقيقتها، دولة قمعية تقوم باضطهاد

الفلسطينيين بشكل ممنهج ، حتى أصبح للجدار العازل معنى سلبي يفوق قدرة إسرائيل على التزييف وقلب الحقائق.

لكن الفيلم يقدم تطبيعا لهذه الفكرة ، وتسويغا لها وتبريرا أخلاقيا وسياسيا ودعاية إعلامية له ، فالجدار الموجود في الفيلم والذي بالضرورة سيتعاطف معه المشاهد - حسب رؤية مخرج الفيلم - إنما هو جدار إنساني لم يبين إلا إنقاذ اليهود من وحوش الزومبي (ربما يقصد العرب أو بعض الشعوب الإفريقية المتخلفة) المتربصين خارج الأسوار، كما أن الدولة العبرية ورغم الخطر الذي يتهدها من الخارج فهي حريصة على القيام بدورها الإنساني في إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الناس المختلفين عنها²¹.

6. خاتمة:

تم من خلال هذه الدراسة التوصل إلى النتائج التالية :

- للسينما علاقة وطيدة مع السياسة منذ نشأتها فقد اهتمت بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدول والمجتمعات ولها تأثير كبير على الرأي العام ، فهي تستوحي قصصها من واقع المجتمع .

- للسينما تأثير قوي على الوعي السياسي للأفراد في المجتمع ، واستخدمت نظريات تتحدث عن تأثير وسائل الاتصال الجماهيري بخصوص تأثير السينما على الأفراد.

- الهدف الأساسي من تلك الصور السينمائية هو توصيل رسائل ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية ، فلم تعد السينما مجرد صور وأحداث ولكنها هي حقل واسع من الرسائل الضمنية التي تتمثل في الإشارات والإيحاءات المختلفة.

- الفيلم السينمائي يستخدم الإمكانات الفنية في التعبير وتوظيفها لتفسير وتجسيد الإشكاليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع ، وإحداث نوع من الترابط بين المشاهد ومحتوى الفيلم لكي يحدث تأثير على وعي الأفراد من خلال التأثير بما يعرضه الفيلم لما له من دلالات للظواهر التي يعيشها المجتمع.

- في فيلم "حرب الزومبي العالمية Z The World War " تم توظيف أبعاد إيديولوجية وسياسية ساهمت في التأثير على المشاهدين من خلال التركيز على قضيتين أساسيتين، تمجيد دولة الكيان المحتل وتبويض صورتها أمام العالم وإظهارها على أنها دولة مسالمة تنتشر السلم والأمن في العالم، والإشادة بالجدار العازل للكيان المحتل كوسيلة لإنقاذ البشرية من الوباء.

- الهوامش :

- 1- ماري تيريز جورنو ، معجم المصطلحات السينمائية ، ترجمة : فائز بشور، بد ط ، بد س ، ص16.
- 2- المرجع نفسه ، ص18.
- 3- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ص421-422.
- 4- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج3 ، مرجع سابق ، ص362.
- 5- جيوفري نوويل سميث ، موسوعة تاريخ السينما في العالم ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المركز القومي للترجمة ، ج1، القاهرة ، 2010 ، ص39.
- 6- ديفيد روبنسون ، تاريخ السينما العالمية ، ترجمة : إبراهيم قنديل ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999 ، ص11.
- 7- قيس قاسم ، السينما والأوبئة ، توثيق حروب الإنسان الأزلية مع الفيروسات ، موقع الجزيرة نت ، www.aljazeera.net ، تاريخ الدخول : 11 يونيو 2020.
- 8- ينظر: عبد الله بن بجاد العتيبي ، الوباء والسياسة ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد : 15090 ، ص13 ، تاريخ النشر: 2020/03/22.
- 9- موقع أطلس المعرفة ، www.atlas-know.com ، تاريخ الدخول : 2020/11/24.
- 10- موقع الأندياندا عربية ، www.independentarabia.com ، تاريخ الدخول : 2020/12/31.
- 11- موقع قناة الحرة ، www.alhurra.com ، تاريخ النشر : 2020/04/02.
- 12- موقع السينما ، www.elcinema.com ، تاريخ الدخول : 2020/12/31.

13- ينظر: عدنان حسين أحمد ، أفلام الأوبئة ، عالم الفيروسات الفتاكة بعيون سينمائية ، موقع الجزيرة نت ،

www.aljazeera.net ، تاريخ النشر : 2020/03/29.

14- ينظر: توني ماك كيبين ، ترجمة : ممدوح شلبي ، الإيديولوجية السينمائية والنظرية السياسية ، موقع عين على

السينما ، eyeoncinema.net ، تاريخ النشر : 2013/02/19.

15- ينظر: ندى ياسر عبد المعطي عبد اللطيف ، توظيف السينما في المجال السياسي وأثره علي الوعي السياسي في

المجتمع المصري ، موقع المركز الديمقراطي العربي ، democraticac.de ، تاريخ النشر :

2019/08/03.

16- موقع أطلس المعرفة www.atlas-know.com ، تاريخ الدخول : 2020/11/24.

17- ينظر: أسماء سعد الدين ، قصة فيلم "حرب الزومبي العالمية" ، موقع المرسال ، www.almrsal.com ،

تاريخ النشر : 2018/11/02.

18- ينظر: محمود التركي، براد بيت يعيد الزومبي إلى السينما العالمية ، موقع اليوم السابع ، www.youm7.com

تاريخ النشر : 23 يونيو 2013.

19- المرجع نفسه .

*- روردين مايكل إي سي ويلكينسون ، أكاديمي بريطاني ومؤلف ، و أستاذ الاقتصاد السياسي الدولي ونائب المستشار المساعد للتعليم وتجربة الطلاب في جامعة نيو ساوث ويلز ، سيدني ، أستراليا ، موقع

ويكيبيديا، ar.wikipedia.org

20- ينظر: هند مسعد ، كيف تعيد أفلام الزومبي تشكيل العالم ، موقع الجزيرة نت ،

www.aljazeera.net

تاريخ النشر : 2019/03/23.

21- ينظر: رجا ساير المطيري ، فيلم الحرب العالمية Z ، جريدة الرياض ، العدد : 16515 ، تاريخ

النشر : 2013/09/11 ، موقع : www.alriyadh.com